في جذور الشجرة العربية

للأستاذ عبـــد المنعم خلاف

يعمل ساسة العرب على طريقتهم فى توطيد أسس الجامعة العربية . والسياسة ليست دائماً ذات إيمان ... ونحن أفراد الشعوب العربية ينبغى أن يكون اندفاعنا إلى هذه الجامعة حركة ذاتية فردية مؤمنة تعمل دائبة سواءاً كانت السياسة تريد ذلك أم لاتريده ، وسواءاً كان السياسيون متحمسين أم فاترين. فالسياسيون كثيراً ما ينقلبون ويغشون ويدمرون ما اشتركوا فى بنائه حينما يهزمون فى المجال الشخصى الضيق ، وتتصادم المصالح الصغيرة ويزول العمل للمصلحة الكبيرة . فيجب دفعهم بأيدى الجماهير المستنيرة حتى يكونوا دائماً شاعرين بحرارة إيمانها وقوة دفعها لهم.

وفى بعض الأحيان يجتمع السياسى ورجل الدعوة والإيمان فى شخصية فتسير الأمور عندئذ فى أمان وتقدم ، ولايخشى عليها من النكوص والتقلب والضعف ؛ لأن عناصر الإيمان والإلهام المتجدد وشبح النجاح المأمول فى تلك الشخصية من شأنها أن تحول بين الحركة وبين الارتداد والضعف مهما كان من عقبات ومغريات وعوامل تثبيط .

غير أن هذا النوع القيم من السياسيين لا يوجد كل حين . فيجب العناية والاهتمام والاحتراس من العناصر السياسية المحترفة التى تصطنع السياسة للحكم وشهوة الغلبة أو السيطرة أو الخيلاء ولا تعلم من أهداف السياسة إلا ما يحقق لها ذلك . ولا يكون ذلك الاحتراس إلا فى إعلان إرادة الرأى العام وإظهار أعماق شعوره وجلو أهداف إيمانه وتجديدها دائماً أمام عيونه ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الوسائل الثقافية والوجدانية التى فى أيدى الكتاب والأدباء المفكرين الذين يتعمقون الأشياء ويجلون دقائقها على أعين الجماهير جلواً يستهوى ويثير .

ومن الغبطة أن نعلم أن قيام الجامعة العربية على أسس فكرية ووجدانية يجب أن يسبق قيامها على الأسس السياسية ، لأن قيامها على الأسس الأولى هو من طبيعة الأشياء إذا أردنا أن نسير على قوانين النمو والتقدم والارتقاء مسترشدين الله فى إنضاج الثمار .

فاللقاب هو أول ما يتكون فى الجنين ومنه تمتد الشرايين لتغذية الجسم الصغير الذى يتخلق منه الكائن الإنسانى أو الحيوانى . وكذلك عقدة البرعم التى فيها سر الشجرة ونوعها هى منطقة النمو فى النبات .

ذلك فى عالم الأحياء والمحسوسات وهو بذاته فى عالم الأمر والمعانى . فيجب أن ترعاه ونعرف له حقه ونؤدى له واجبه حتى لا نضل أو تلتوى بنا السبل أو يبطىء علينا نضج الثمرات المرجوة .

ومن الملحوظ فى الحركات السياسية الكبيرة التى تمت فى مراحل التاريخ ، أن كل حركة عظيمة كان بجوارها مفكرون يفلسفونها ويضعون لها أسساً تنهض فى أعماق الضمائر والعقول فتكون الحركة مدعمة بالإيمان والاستنارة .

فالبلشفية تقوم على فكرة وفلسفة وطدها كارل ماركس ولينين ، والنازية كذلك استمدت من فلسفة (نيتشه) وكان بجوارها (روزنبرج) ، والحركة الاشتراكية فى انجلترا يفلسفها الأستاذ (لاسكى) .

وهكذا تقوم الحركات السياسية الكبيرة دائماً على واضى الأسس الاجتماعية فى أعماق الوجدان والفكر .

والجامعة العربية لها فلسفة أو يجب أن يكون لها فلسفة ملخصة تنير طريق العربى إلى غايته وتجعل إيمانه بقوميته وحركتها السياسية إيماناً بصيراً مستنيراً . حتى إذا خاب جيل فى تحقيق الأهداف أتى الجيل الذى يليه فوجد الغاية صحيحة صالحة مركزة فى قضايا واضحة تستحق العمل لها فيعمل لها بحرارة واندفاع ذاتى غير ملق بالا إلى الخيبة السابقة إلا بمقدار أخذ العظة منها .

والأسس الفكرية للعربية الحديثة تتلخص فى أننا « الأمة الوسط » بين أمم العالم جميعه من حيث المكان واللون والفكر .

فنحن فى المكان الوسط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب غير منازع ولوننا وسط بين الجميع . وقد أخذنا من بياض الشمال وصفر الشرق وسود الجنوب وحمر الغرب بحيث يأنس بنا الجميع ولا يجدون بيننا وبينهم ما يجدونه حينما يتلاقى الأبيض بالزنجى أو بالأصفر أو يتلاقى الأصفر بالزنجى أو بالأبيض وهكذا . وما دام فى الأرض فلسفة سياسية ظالمة تقوم على الفروق اللونية